

## القيمة، أنواعها وتمثيلاتها عند النقاد العرب القدماء

محمود درابسة

تعد القيمة (Wertung, Value) خاصية تجعل الأشياء مرغوباً فيها، فالقيمة لفظة مطاطة، واسعة المعنى، وتشكل للإنسان موضوعاً هاماً من حيث قابليته ليكون مبدأً أو مقياساً من مقياس النقد والجمال والمعرفة والأخلاق والدين والفلسفة<sup>(١)</sup>.

فالحرية هي قيمة من قيم الحياة، وكذلك الساحة قيمة من قيم الدين والأخلاق والإنسانية، كما تشكل الذائفة الجمالية قيمة اتجاه الأعمال الإبداعية بضرورها المتنوعة، وكذلك تشكل مفاهيم الشعر قيمة معرفية عند النقاد، إضافة إلى ذلك فإن إبراز الجوانب والأبعاد الجمالية والفنية هي قيمة نقدية تتجسد من خلال إبراز قيمة النصوص الإبداعية سواء أكانت شعرية أم نثرية.

ولذلك فالقيمة تعد الشغل الشاغل للفكر الإنساني منذ مراحل نشوئه الأولى، حيث تمثل هذه القيمة في حياته أهمية كبيرة، "فقد اصطبغت القيمة في استعمالها اليومي بصبغة اقتصادية إذا ارتبطت بمسائل البيع والشراء، ومع ذلك ما زال بعضهم يتحدث عن قيمة هذا الفعل الأخلاقي، أو هذا العمل الفني... إلخ، ومعنى هذا أن هناك قيماً كثيرة أخرى غير القيمة الاقتصادية، إذ يمكن أن نطلق لفظ قيمة على كل ما نرغب فيه، أو نسعى لبلوغه، أو نحصر على تحقيقه، فالصحة قيمة، والثروة قيمة، والنجاح قيمة... إلخ، ولعل إعطاء معنى دقيق لمفهوم القيمة مسألة قد تكون في غاية الصعوبة، لأن مفهوم القيمة شأنه شأن جميع المفاهيم الفكرية الأخرى يحتمل تفسيرات شتى"<sup>(٢)</sup>.

وقد تباين الدارسون القدماء المحدثون بتعريف القيمة وتحديد أنواعها، حيث جاء في المعاجم

١- محمود درابسة، رؤى نقدية: دراسات في القديم والحديث، دار جرير للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٨١،

انظر: مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٥٩٣.

٢- منقذة العلان: "القيمة"، مقالة على موقع الكتروني:

العربية مثل لسان العرب لابن منظور المصري ت ٧١١هـ بأن القيمة لها أكثر من معنى، إذ تعني القيمة وهو نقيض الجلوس، كما تعني بالمفهوم الاقتصادي القيمة الشرائية، حيث قال ابن الأعرابي لرجل أراد أن يشتريه، لا تشتري فإني إذا جعت أبغضت قومًا، وإذا شبعت أحببت نومًا، أي أبغضت قيامًا من موضعي. فالقيمة إذن هي ثمن الشيء بالتقويم. يقال تقاوموه فيما بينهم، ويقال قامت الأمة بكذا أي بلغت قيمتها كذا والأمر القِيم هو الأمر المستقيم، ولذلك جاء في الحديث الشريف "ذلك الدين القيم" أي المستقيم، وفي القرآن الكريم قوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (٣) وكذلك قوله تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي أَلْفَيْمٌ﴾ (٥) (٦).

ولعل المعاجم الأدبية المعاصرة قد تناولت إشكالية مصطلح القيمة (Wertung) بشكل متقارب إلى حد ما. فقد أشار المعجم الأدبي الألماني إلى أن القيمة هي بمجملها حكم جمالي، أي قيمة فنية في إطار الأدب، وبمعنى آخر هي حكم نقدي (٧).

وأما المعجم الإنجليزي فقد أشار إلى أن القيمة (Value) تعني القدرة والتميز، والتمكن من إحداث التغيير في الأشياء، وكذلك إحداث التغيير في المواقف المتصلة، وبمعنى آخر فإن القيمة تعني المواجهة والقوة والتأثير (٨).

كما أن المعاجم العربية المعاصرة لم تختلف كثيرًا في تحديد معنى القيمة عما هو في المعاجم الغربية، على الرغم من أن القارئ لها يلمس حضورًا للمعنى المتواتر في المعاجم العربية القديمة، حيث يقول جميل صليبا في المعجم الفلسفي: "قيمة الشيء في اللغة قدره، وقيمة المتاع ثمنه، يقال: قيمة المرء ما يحسنه، والقيمة مرادفة الثمن، إلا أن الثمن قد يكون مساويًا للقيمة أو زائدًا عليها، أو ناقصًا عنها الشيء مطلوبًا

٣- سورة النساء، الآية: ٣٤.

٤- سورة البينة، الآية: ٣.

٥- سورة الروم، الآية: ٣٠.

٦- ابن منظور المصري، لسان العرب، مادة: قوم.

٧- Gero von Wilpert: *Sachworterbuch Der literature*: Alfred kroner Stuttgart 7 auflage 1989,

P. 1031, Claus Trager, *Der literaturwissenschaft*, 2Auflge, Leipzig 1989, P. 571-572.

٨- A Merriam- Webster: *Webster's new collegiate Dictionary*, G.C. meriam Co. 1976, P. 1292.

ومرغوبًا فيه عند شخص واحد أو طائفة معينة من الأشخاص" (٩).

ولذا فإن مشكلة القيمة تتصل بتحديد المعيار بشيء ما، وهذا التحديد يتصل بقدرة الشخص على إصدار الحكم وفهمه للأشياء، فأحيانًا، قد يقيم شخص ما شيئًا معينًا تقييماً رائعاً، وأحياناً يحدث عكس ذلك، وهذا يعود إلى الاختيار المعرفي والفني عند صاحب الحكم.

وعليه، فإن مشكلة القيمة تتصل بالطرف الذي يصدر الأحكام وفقاً لمخزونه المعرفي والفني، وأما من حيث القيمة المعرفية، فإنها ترتبط بقيمة المنجز المعرفي والتاريخي والحضاري للأمم، وكذلك فإن القيمة الجمالية والفنية ترتبط بالأعمال الإبداعية، وتتصل بها اتصالاً منطقيًا لأن "الهدف من القيمة تنمية الإبداع والوسيلة لذلك هي المعاشية لنصوص من الشعر الجميل ومن هنا يمكن القول إن مشكلة القيمة أساس في تحديد النصوص المختارة للمعاشية، كما أن تنمية الإبداع تقتضي تنمية الملكة المبدع وهو الشاعر أو الفنان أو الروائي أو المسرحي في إدراك القيمة بكل أبعادها، وكذلك في التمييز بين الجميل والقيبح، ولأن الاتصال اتصال منطقي فإن مشكلة القيمة يظل لها خصوصيتها وتفرداها واستقلالها من مشاكل إبداع الشعر السابقة عليها، ومشاكل الاختيار الشعري اللاحقة بها" (١٠).

فالقيمة ترتبط على هذا الأساس "بفهم الناقد للشعر وطبيعة عمله، فهو يقيم نقده على أساس فهمه لوظيفة الشعر، وطبيعة الشعر ليست آلية وقوانينه ليست أوامر، لكنها ملاحظات فهي لا تفرض على الشعر، ولكنها تستنبط منه" (١١).

ولما كان الأمر يتوقف على صاحب الحكم، حيث "ليس ثمة معيار واحد يقبله الجميع" (١٢). لذا فإن القيمة ترتبط من هذا المنطلق "بفهم الناقد للشعر أو الأعمال الفنية أو المعرفية الأخرى، ولكن بإزاء ذلك لا بد أن تكون الأعمال تلك على قدر من المستوى الذي يتيح للناقد أو صاحب الحكم من الشعور بالمتعة الجمالية أو اللذة الذهنية، وعند ذلك تتحقق المعاني المهمة للقيمة، فلا يمكن إصدار حكم

٩- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٢١٢.

١٠- مجدي أحمد توفيق، مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٤٣-٢٤٤.

١١- عز الدين إساعيل، الأسس الجمالية في النقد الأدبي: عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٣٤٥.

١٢- يوسف اليوسف، القيمة والمعيار: مساهمة في نظرية الشعر، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٣م، ص ٤٨.

قوي دون عمل قوي، وهكذا فالعملية التقييمية متبادلة بين صاحب الحكم والعمل المحكوم عليه<sup>(١٣)</sup>.  
ولذلك فإن هذا البحث سوف يعاين عدة أسئلة منطقية في جوهر العمل الإبداعي والنقدي،  
كما سيبين البحث أن القيمة بأنواعها المختلفة قيمة نسبية وليست قيمة ثابتة، بحيث تعتمد على نوعية  
القارئ أو الناقد أو صاحب الحكم وبمعنى آخر المتلقي، فالقيمة تختلف باختلاف المتلقي أيًا كان مستواه  
ومرجعياته المعرفية، فعمق معرفته أو قدرته أو مستوى ذوقه يرتبط أساسًا بالقيمة التي يصدرها على  
الأعمال الإبداعية والنقدية والمعرفية.

وفي ضوء ذلك، فسوف يعاين هذا البحث الموضوعات الآتية التي تشكل مجالاً لمعرفة أنواع  
القيمة وتمثيلاتها عند النقاد العرب القدماء.

- |                     |                    |
|---------------------|--------------------|
| ١- القيمة الجمالية. | ٢- القيمة النقدية. |
| ٣- القيمة المعرفية. | ٤- قيمة القيمة.    |

#### ١- القيمة الجمالية:

القيمة هي التي تتشكل نتيجة الحكم على الأعمال الإبداعية بشتى ضروبها الشعرية والنثرية  
والرسومات والأعمال المسرحية وغير ذلك من أعمال إبداعية، وهذه القيمة التي يطلقها القارئ أو الناقد  
أو المتلقي بشكل عام كانت وما تزال ديدن المشتغلين بالعمل الإبداعي، أو المتلقين له على مر السنين. فمنذ  
أرسطو (ت ٣٠٣ ق.م) وحتى اليوم وقف متلقو الشعر والفن على اختلاف مستوياتهم ومرجعياتهم  
المعرفية والنقدية والذوقية على تقييم الأعمال الإبداعية، وقد تفاوتت أحكامهم اتجاه هذه الأعمال وفقاً  
لعمق معارفهم وثقافتهم وحسهم النقدي والذوقي، وكذلك طبيعة ظرفهم التاريخي. ولذا نلاحظ أن  
أرسطو يعبر عن الإحساس باللذة والجمال الفني من خلال قوله: "إن التعليم لذيد، لا للفلاسفة وحدهم،  
بل وأيضاً لسائر الناس، وإن لم يشارك هؤلاء فيه إلا بقدر يسير، فنحن نسر برؤية الصور لأننا نفيد من  
مشاهدتها علماً ونستنبط ما تدل عليه، كأن نقول: إن هذه الصورة صورة فلان، فإن لم نكن رأينا موضوعها  
من قبل فإنها تسرنا لا بوضعها محاكاة، ولكن لإتقان صناعتها أو لألوانها أو ما شاكل ذلك"<sup>(١٤)</sup>.

وقد قدر أرسطو قيمة الجمال بما تحدثه من تأثير وهزة قوية في نفس المتلقي وخياله وفقاً لعمق

١٣- عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، أفريقيا للنشر، ١٩٩١م، ص ١٠٩-١١٠، انظر: شكري عياد، دائرة

الإبداع، (مقدمة في أصول النقد)، دار الياس العصري، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٩.

١٤- أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة وشرح وتحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٢.

معرفة النقدية والذوقية، حيث يقول: "كذلك الجميل سواء أكان كائنًا حيًّا أم شيئًا مكونًا من أجزاء بالضرورة ينطوي على نظام يقوم بين أجزائه هذه وله عظمٌ يخضع لشروط معلومة. فالجمال يقوم على العظم والنظام، ولهذا فإن الكائن العضوي الحي إذا كان صغيرًا جدًا لا يمكن أن يكون جميلًا، لأن إدراكنا يصبح غامضًا وكأنه يقع في برهة لا يمكن إدراكها، كذلك إن كان عظيمًا جدًا، بأن كان طوله عشرة آلاف ميدان مثلًا، إذ في هذه الحالة لا يمكن أن يحيط به النظر، بل تند الوحدة والمجموع عن نظر الناظر، فإذا ما تقرر هذا، فإنه كما أن الأجسام والأحياء يجب أن يكون لها عظم يمكن تناوله بالإدراك، فكذلك الأمر في الخرافات، يجب أن يكون لها من الامتداد ما تقوى الذاكرة على وعيه بسهولة" (١٥).

فالقيمة الجمالية هي قيمة ذات قدرة جاذبة ومؤثرة وتحدث نوعًا من اللذة والنشوة والإدهاش، كما أن المنظر الجمالي الخارجي لا تتوقف عليه اللذة والنشوة بالنسبة للمتلقي بل كذلك المضمون الداخلي، حيث تتوقف القدرة على النشوة على مقدار المرجعيات المعرفية والجمالية والنقدية والذوقية عند المتلقي، فالمضمون الجمالي للعمل الإبداعي يحقق اللذة الجمالية عند المتلقي، وعند ذلك يشكل المتلقي القيمة لهذا العمل الجمالي، فوظيفة العمل الإبداعي وقيمه ومهمته كالشعر مثلًا تكمن "في قدرته على إتاحة مثل هذه اللذة الجمالية للمتلقي، فالشعر يحقق اللذة لقارئه ومتلقيه ويبين في الوقت نفسه القيمة الشاملة لها" (١٦).

فالأحكام الجمالية التي تظهر القيمة التي يكونها المتلقي عن عمل إبداعي ما تختلف من عصر إلى عصر، فالعمل الإبداعي تتغير قيمته من زمن إلى آخر وفقًا للتطور المعرفي والجمالي عند الناس (١٧). ولذلك فالقيمة الجمالية متغيرة وتعتمد على نوعية استقبال المتلقي ومستوى مرجعياته المعرفية والثقافية، وكذلك إحساسه وذوقه الجمالي (١٨).

ولذا فإن الأحكام التي تصدر عن المتلقي لإظهار قيمة عمل إبداعي ما تعكس مدى ونوعية الاستجابة عند المتلقي يقول جيروم ستولنيتز: "ما الذي نعنيه حين نقول: إن العمل قيّم من الوجهة الجمالية، أو حين نستخدم لفظًا أقل تخصصًا أو تعقيدًا، مثل: هذا العمل جيد، هل نتحدث عن العمل ذاته،

١٥- المصدر نفسه، ص ٢٣-٢٤.

١٦- عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، ص ١٠٩-١١٠، وانظر: عبد الله موسى، "القيمة والتجربة الجمالية"،

مقالة على موقع الكروني: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp.p.4 of 8.17.2.2013>

١٧- تيري إيجلتون، "مناقشة حول القيمة بين الناقد الأدبي والناقد الفني بيتر فوللر"، مجلة فصول ع ٣، مج ٦، القاهرة،

١٩٨٨م، ص ١٥.

١٨- المرجع نفسه، ص ١١-١٢.

أم أننا نصف استجابتنا الخاصة له فحسب؟ وإذا كنا نتحدث عن أنفسنا، فهناك إذن خداع لا شعوري في قولنا "العمل كذا... ذلك لأننا نؤكد حكم القيمة كما لو كان حقيقة، وفي بعض الأحيان ندافع عنه بقدر من الحرارة يدل بوضوح على أننا نعدده حقيقة هامة" (١٩).

فالعمل الإبداعي "موضوع جمالي قادر على إثارة تجربة جمالية فهل نستطيع أن نقيم العمل الأدبي بالاعتماد المطلق على المعايير الجمالية أم أننا نحتاج - كما يقترح ت. س. اليوت - إلى الحكم على أدبية الأدب بواسطة معايير أدبية، ونحكم على عظمة الأدب بواسطة المعايير الجمالية الإضافية؟" (٢٠).

ولذا فإن البدايات الأولى للنقد الجمالي وللقيم الجمالية هي التعبير الذاتي والانطباعي وردود الفعل التأثرية إزاء عمل إبداعي ما، كأن نقول: هذا جميل، أو قبيح، أو هذا حسن، أو رديء يقول جيروم ستولنيتز: "ولا جدال في أن الألفاظ الرئيسية في لغة القيمة الجمالية هي "الجميل" و "القبيح" ولقد كان الرأي التقليدي يعد هذين اللفظين ضددين يدلان، فيما بينهما على جميع الموضوعات الجمالية، "الجميل" في أحد معانيه الشائعة يدل على الأشياء التي تتمتع بإدراكها أو نشعر بجاذبيتها عندما ندرکها، على حين أن "القبيح" يدل على الأشياء الكريهة أو المنفرة، أما النظريات التي تفهم الجمال من خلال خصائص شخصيته كالانسجام أو الوحدة العضوية بدلاً من أن ترى فيه موقفاً من مواقف الإدراك الحسي فتستخدم لفظ "الجميل" للدلالة على وجود مثل هذه الخصائص و "القبيح" للدلالة على غيابها، وفي كثير من الحالات التي كان ينظر فيها إلى هذين اللفظين على أنها شاملان لكل موضوعات الدراسة الجمالية، كانت هذه الدراسة ذاتها تعرف بأنها نظرية الجمال والقبيح" (٢١).

وقد عبر الشعراء والنقاد العرب القدماء عن تقديرهم وذوقهم اتجاه العمل الإبداعي مظهرين قيمته الجمالية، من خلال عبارات الإعجاب والاستحسان مثل قول بشار بن برد: "وقيل لبشار بن برد: أخبرنا يا أبا معاذ عن أجود بيت للعرب، فقال إن تفضيل بيت على أشعار العرب لشديد، ولكن أحسن كل الإحسان وأوجز وأعجز لبيد في قوله:

١٩- جيروم ستولنيتز، النقد الفني، ترجمة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨١م، ص ٥٥٨.

٢٠- وارين، أوستن، ويلك، رينيه: نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، دمشق،

١٩٧٢م، ص ٣١٨.

٢١- أبو علي محمد بن الحسن الخاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق: جعفر الكتاني، بغداد، ١٩٧٩م، ج ١،

ص ٣٢٤.

أكذب النفس إذا حدثتها إن صدق النفس يُزري بالأمل

ولعل إعجاب بشار بن برد بهذا البيت الذي يجسد قيمة جمالية أحسن بها الشاعر اتجاه معنى البيت يعود إلى أن "ليبدأ أحسن فيه وأوجز وأعجز، فهو أولاً تهرب من المفاضلة، ثم أبدى إعجابه هو بيت للبيد إعجاباً شخصياً اعتمد فيه على سمات رآها في البيت، أما الإيجاز فقد يمكن عده معياراً موضوعياً، ولكن الحسن والإعجاز (في حدود معينة) ذاتيان، وقد يبدو الإعجاز موضوعياً، ولكن أفي الحق أنه معجز لا يمكن الإتيان بمثله، أنه رأي بشار الذاتي وقد تثير ألفاظ البيت في ناقد آخر ما لا تثيره في بشار من إحساسات وانطباعات تبعده عن الجمال بله الإعجاز. وهكذا يختلف الآخرون عنه في تقدير إعجازه، ولكن المعيار الحقيقي الذي هو السبب في إعجاب بشار به يكمن في نفس بشار، فالبيت تعبير رائع عن مغالطة النفس حين يكون الواقع الإنسان، في أحوال خاصة، وربما كثيرة، إلى مخادعة النفس ومغالطتها، فإن صدق النفس يوصد الأبواب ويزري بالأمل، لقد جسَّ بيت لبيد وترًا حساسًا في أعماق نفس بشار، فعبر عن إعجابه به ثم حاول أن يسبب هذا الإعجاب، فاختلطت في أسبابه دوافع ذاتية وإن لم يخل بعضها من موضوعية" (٢٢).

ولعل عبارات الإعجاب والثناء التي تعبر عن مشاعر ذاتية عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) اتجاه أبيات من الشعر إنما تجسد القيمة الجمالية التي وجدها الناقد في هذه الأبيات، فكان إعجابه أحياناً ينم عن تقديره لحسن الألفاظ وجودة المعاني، وتارة أخرى للمضمون الأخلاقي أو الحكمي أو التربوي الذي رأى فيه ابن قتيبة بأنه يحقق قيمة جمالية. يقول ابن قتيبة "قال أبو محمد: تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل في بعض بني أمية:

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرينه شمم  
يغضي حياء ويغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يتسم

لم يقل في الهيبة شيء أحسن منه" (٢٣).

وعبر ابن أبي عون (ت ٣٢٢هـ) في كتابه التشبيهات عن إعجابه بناذج عديدة من المقطوعات الشعرية في التشبيه، حيث تجسدت القيمة الجمالية عنده بالألفاظ الآتية حسن وجميل وقبيح، حيث أشار إلى حسن التشبيه في زوال الناس وفنائهم، ولكنه شرح لنا سبب الإعجاب أو الانطباع الذاتي الجمالي عنده

٢٢- عبد الجبار المطليبي، الشعراء نقاداً، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م، ص ٧٥.

٢٣- أبو عبدالله محمد بن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: دي جويه، لندن، ١٩٠٤م، ص ٧٥.

فقال (٢٤): "ومن حسن التشبيه في فناء الناس قول عدي بن زيد:

أين كسرى كسرى الملوك أبوسا      سان أم أين قبله سابور  
وبنو الأصغر الكرام ملوك الرو      م لم يبق منهم مذكور  
وأخو الحضّر إذ بناه وإذ دجل      ة تجبى إليه والخابور  
شاده مرمرًا وجلله كلس      أ فللطير في ذراه وكور  
لم يهبه ريب المنون فبان المد      ك لم عنه فبابه مهجور  
وتبين رب الخورتق إذا أشر      ف يوماً وللهدى تنكر  
سره حاله وكثرة ما يمد      ك والبحر معرضاً والسدير  
فارعوى قلبه وقال فما غبطة ح      يّ إلى المات يصير  
ثم أضحوا كأنهم ورق ج      ف فألوت به الصبا والدبور  
ثم بعد الفلاح والمملك والا      مة وارثهم هناك القبول"

فالشاعر لم يبين القيمة الجمالية لهذه اللوحة الشعرية مكتفياً بلفظة الحسن للتعبير عن وقع هذه اللوحة وجمالها من خلال صورة الناس والزمن والتحول، حيث عبرت اللوحة عن حال الناس وتغير حالهم، بصورة تدعو للحكمة والعظة من الزمان وتقلباته.

ولذا فإن النقد العربي قد قضى ردهاً من الزمن وهو يدور في مجال الانطباعية والتأثرية والتعبير الذوقي والجمالي لإظهار القيمة الجمالية التي تستند إلى الذوق وربها إلى المضمون الاجتماعي أو الأخلاقي للعمل الإبداعي، فقد عاب النقاد على الشياخ قوله في ناقته:

إذا بلغتني وحملت رحلي      عرابة فاشريقي بدم الوتين

لأن قوله: "اشريقي بدم الوتين" يعد مكافأة سيئة لناقته التي أوصلته إلى مبتغاه، وهذا النقد هو تعبير عن مبدأ اللياقة والذوق، وقد شكل ذلك قيمة جمالية تجسد الذوق عند النقاد (٢٥).

٢٤- ابن أبي عون، التشبيهات، تحقيق: محمد عبد المعين خان، كيمبردج، ١٩٥٠م، ص ٢١٣-٢١٤.

٢٥- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة،

بيروت، ١٩٧٨م، ص ٤٥.



كما أشار النقاد إلى تقصير طرفة عن أصول اللياقة والذوق عندما قال (٢٦):

فإذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كل أمون وطمر

فقد عد النقاد ما فعله طرفة من كرم بتوزيع أمواله وفرسه وهو في حالة السكر ليس بكرم أبداً لأن الكرم لا يكون في حال الثمالة بل في حال الوعي الكامل للفعل، وهنا يجسد النقاد قيمة جمالية تعبر عما يحسون به أو يؤمنون به إتجاه العادات والتقاليد الاجتماعية.

ولعل القيمة الجمالية عند ابن طباطبا (ت ٣٢٢هـ) تتمحور بأبعادها الجمالية عند تقبل الفهم لها سواء جاءت بواسطة الرؤية البصرية أو السمعية أو الشمية حيث يقول: "وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو واف، وما محه ونفاه فهو ناقص. والعلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه، ونفيه للقبیح منه، واهتزازه لما يقبله، وتكرهه لما ينفیه، إن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له إذا كان وروده عليها وروداً لطيفاً باعتدال لا جور فيه، وبموافقة لا مضادة معها، فالعين تألف المرأى الحسن وتقذى بالمرأى القبيح الكريه، والأنف يقبل المشم الطيب ويتأذى بالمتن الخبيث، والشم يلتذ بالمذاق الحلو ويمج البشع المر، والأذن تشوف للصوت الخفيض الساكن وتتأذى بالجهير الهائل، واليد تنعم باللمس اللين الناعم وتتأذى بالخشن المؤذي، والشم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق، والجائز المعروف المألوف ويتشوف إليه ويتجلى له، ويستوحش من الكلام الجائر والخطأ الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر منه، ويصدأ له، فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوماً مصفى من كدر العي، مقوماً من أود الخطأ واللحن، سالماً من جور التأليف، موزوناً بميزان الصواب لفظاً ومعنى وتركيباً اتسعت طرقه، ولطفت مواجعه، فقبله الفهم وارتاح له، وأنس به" (٢٧).

ويتابع ابن طباطبا في موضع آخر من كتابه عيار الشعر التعبير عن الأثر الجمالي الذي يتركه الشعر الحسن، بصوره وإيقاعه ولغته عند المتلقي، وقد حاول تقريب الصورة الجمالية لذلك من خلال الأمثلة والتشبيهات التي تترك أثرها عند ذوق المتلقي. فالقيمة الجمالية في العمل الإبداعي متناسبة تماماً مع جمال الإبداع وقوة بنائه وصوره يقول ابن طباطبا بهذا الخصوص: "وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه. فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى

٢٦- المرجع نفسه، ص ٤٥.

٢٧- محمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة،

١٩٥٦م، ص ١٤. انظر: شكري عياد، دائرة الإبداع، ص ٨٤-٨٥.

وعذوبة اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تم قبوله له، واشتماله عليه وإن نقص جزء من أجزائه التي يعمل بها وهي: اعتدال الوزن، وصواب المعنى وحسن الألفاظ، كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه، ومثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولفظه مع طيب ألحانه، فأما المقتصر على طيب اللحن منه دون ما سواه فناقص الطرب، وهذه حال الفهم فيما يرد عليه من الشعر الموزون مفهوماً أو مجهولاً، وللأشعار الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم لا تجد كفيتهما، كمواقع الطعوم المركبة الخفية التركيب اللذيذة المذاق، وكالأراييح الفاتحة المختلفة الطيب والنسيم، وكالنفوش الملونة التقاسيم والأصباغ، وكالإيقاع المطرب المختلط التأليف، وكالملمس اللذيذة الشهية الحسن، فهي ثلاثه إذا وردت عليه - أعني الأشعار الحسنة للفهم - فيلتذها ويقبلها" (٢٨).

ولذا فإن ابن طباطبا قد فهم القيمة الجمالية في العمل الإبداعي من خلال قدرة العمل الإبداعي على إشباع المتلقي، وإثارة ميوله ورغباته، وخاصة ما أورده عن الشعر بأنه يثير بصوره وبنائه وإيقاعه ولغته كل حواس المتلقي فيشعره بالنشوة واللذة والاندهاش. وهذا ما رآه النقد المعاصر اليوم، حيث يقول الناقد الإنجليزي رتشاردز: "القيمة بأنها القدرة على إشباع الرغبة والإحساس بطرق مختلفة معقدة" (٢٩). وكذلك يقول في موضع آخر في كتابه مبادئ النقد الأدبي: "إن الخير أو القيمة إنما هما في تنشيط الدوافع وإشباع نزعاتها، فحينما نقول: إن شيئاً ما خير إنما نقصد بذلك أنه يرضي دوافعنا، وحينما نصف التجربة بالخير إنما نعني بوصفنا هذا أن الدوافع التي تتألف منها هذه التجربة دوافع ناجحة يتحقق إرضاءها" (٣٠).

ولا بد من الإشارة إلى أن ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) وهو من الشعراء النقاد الذين آمنوا بمقولة: "أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه" (٣١). وقد جسد ابن المعتز مفهوم القيمة الجمالية من خلال ذوقه المرفه وإحساسه القوي بجمال الشعر، فقد عبر عن ذوقه وانطباعه اتجاه بعض الشعراء، حيث قال: "بشار: ومما يستحسن من شعره وإن كان كله حسناً. أبو الهندي: ومما يستحسن له وإن كان شعره كله

٢٨- ابن طباطبا، عيار الشعر، ص ١٥.

٢٩- إ. رتشاردز، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٨٩.

٣٠- المرجع نفسه، ص ١٠٣.

٣١- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٢٠.

حسنًا جيدًا. ربعة الرقي: ومما يستملح له، وإن كان شعره كله مليحًا عذبًا مطبوعًا جيدًا هنيئًا. مسلم بن الوليد: ومما يستحسن له، على أن شعره كله ديباح حسن لا يدفعه عن ذلك أحد. الحارثي: ومن جيد شعره وإن كان كل شعره جيدًا. أبو تمام: ومما يستملح من شعره وشعره كله حسن. العتايي: وأشعار العتايي كلها عيون، ليس فيها بيت ساقط" (٣٢).

فالدوق الأدبي هو الأساس الذي يظهر من خلاله تقدير المتلقي للقيمة الجمالية للعمل الإبداعي، فقدماءة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) مثلًا اختلف عن غيره من النقاد السابقين في هذا الموضوع، وذلك بأنه: "لا يعول إلا على الفضائل النفسية، إيجابًا في المدح وسلبًا في الذم أو الهجاء" (٣٣). يقول قدماءة: "إنه لما كانت فضائل الناس من حيث إنهم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك إنما هي: العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيبًا، والمادح بغيرها مخطئًا. وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والإغراق فيه، دون البعض، مثل أن يصف الشاعر إنسانًا بالجوهر الذي هو أحد أقسام العدل وحده فيغرق فيه، ويتفنن في معانيه، أو بالنجدة فقط، فيعمل فيها مثل ذلك، أو بهما، أو يقتصر عليهما دون غيرهما، فلا يسمى مخطئًا، لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله" (٣٤).

كما عد القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) الذوق والإحساس الجمالي الركيزة الأساس لنقده في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه، حيث بين الجرجاني أن الذوق هو أساس للنقاد، فالناقد ينبغي أن يمتلك ذوقًا وحسًا مرهفًا اتجاه الأعمال الإبداعية، وهذا ما يعني الحس الجمالي الذي يدرك من خلال الأعماق البشرية، وإن الجمال هو ما علق بالقلب وإن كان في ظاهره غير جميل، حيث يرد الجرجاني هنا القيمة الجمالية إلى البعد النفسي عند الناقد (٣٥). ويقول الجرجاني: "والشعر لا يجب إلى النفوس بالنظر والمحاكاة ولا يحل في الصدور بالجدال والمقايسة، وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة، ويقربه منها الرونق والحلاوة، وقد يكون الشيء متقنًا محكمًا، ولا يكون حلواً مقبولاً، ويكون جيدًا وثيقًا، وإن لم يكن لطيفًا

٣٢- انظر: عبد الله ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، تحقيق: عبد الستار فراج، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٢٨، ١٤٠، ١٦٣، ٢٣٥، ٢٦٤، ٢٧٩، ٢٨٤.

٣٣- هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨١م، ص ٢٣٦.

٣٤- قدماءة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المعتم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٩٦.

٣٥- هند حسين طه، النظرية النقدية، ص ٢٤٠.

شيئاً، وقد يجد الصورة الحسنة والخلقة التامة مقلية ممقوتة، وأخرى دونها مستحلاة موموقة، ولكل صناعة أهل يرجع إليهم في خصائصها، ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها" (٣٦).

وفي ضوء ذلك، فإن مقولة ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أن "مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم" (٣٧). نؤكد أن مرتكز القيمة الجمالية هو الذوق السليم الطبع والموهبة، وهذا ما يتماهى تمامًا مع معطيات النقد المعاصر، حيث يقول شكري عياد: "فالناقد إذن هو الأولي بأن يرى القيمة الجمالية المطلقة في الأشكال المتغيرة دون أن يستهين بهذه الأشكال باعتبارها صورًا متحققة للقيمة، إذ لا يمكن أن تظهر القيمة أو تعرف إلا من خلالها. وذوق الناقد يعني تمكنه من هذه الرؤية، فهو مهارة تكتسب بالدراسة والتأمل والخبرة، ولكي ندرك ما تعنيه هذه المهارة، كم هي بعيدة عن الميل الشخصي المجرد، يجب أن نلاحظ التنوع الهائل في الأشكال الأدبية" (٣٨).

ولذا فإن معاينة النص الإبداعي لا تتم إلا من خلال حالة العشق بين الناقد والنص، والذوق هو الخطوة الأولى لمعاينة العمل الإبداعي، يقول موسى رابعة: "وإذا كان مفتاح الحكم على قيمة النص الأدبي من خلال حالة العشق التي يعيشها القارئ، فإن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أن يكون عمود الذوق أو معيار الذوق معيارًا بعيدًا عن التحليل لأنه يمكن أن يكون خطوة أولى نحو التعامل مع النص الأدبي موضوع المعاينة، ولما كان عنصر الذوق عنصرًا مهمًا في عملية القراءة والتفسير، فإن استثناءه يصبح أمرًا غير منطقي" (٣٩).

## ٢- القيمة النقدية:

وأما القيمة النقدية فيتوقف إدراكها على القارئ النوعي أو المثالي، الذي يمتلك القدرة اللغوية والفنية والمعرفية لمعاينة الأعمال الإبداعية الشعرية أو النثرية أو الأعمال الفنية كالرسم والتصوير والتمثيل. فإدراك العمل الإبداعي من حيث الجودة والرداءة يتوقف على القارئ والناقد المتخصص، فهناك قضايا

٣٦- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت، ١٩٦٦م، ص ١٠٠.

٣٧- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٣٩م، ج ١، ص ٥، انظر: هند حسين طه، النظرية النقدية، ص ٢٤٢.

٣٨- شكري عياد، دائرة الإبداع، ص ٣٨-٣٩.

٣٩- موسى رابعة، "القيمة وقراءة النص الأدبي"، مجلة علامات، النادي الأدبي، جدة، ٢٠٠٤م، ع ١٤، ج ٥٣، ص ١٧٠.

مختلفة ترتبط بالقيمة النقدية مثل موقف النقاد العرب من الشعر وأقسامه وقضاياه النقدية، ومعايره التي حكم فيها النقاد على أعمال الشعراء محاولين تجاوز مرحلة الذوق إلى مرحلة التعليل في الأحكام النقدية. كما حكم النقاد في معاييرهم النقدية على الأعمال الإبداعية من خلال اللفظ والمعنى وعلم البيان بضرابه المختلفة، فهذه الموضوعات تتجسد من خلال القيمة النقدية التي يسعى الناقد القارئ إلى الوقوف عند تفاصيلها وأبعادها المختلفة في معاينة الأعمال الإبداعية.

وقد شكلت القيمة النقدية المحور الأساس لجهود النقاد العرب القدماء، كما هو الحال أيضًا عند النقاد المعاصرين، فهناك قضايا ومعايير مختلفة ترتبط بالعمل الإبداعي كانت وما تزال موضع الدرس النقدي عند العرب وغيرهم من الشعوب.

فالقيمة النقدية هي قيمة النص الإبداعي من حيث الجودة أو الرداءة، ولذلك نجد ابن قتيبة قد حدد أربعة أضرب للشعر، حيث تشكل هذه الأضرب القيمة للنص الشعري، ولذلك فإن هذه المعايير هي التي تحدد جودة الشعر من رداءته يقول: "وأخبرت فيه (كتاب الشعر والشعراء) عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الأول. وقال أبو محمد وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٤٠).

كما بين ابن قتيبة الأقسام الأربعة للشعر التي تمثل القيمة النقدية له وهي (٤١): "تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل:

يغضي حياءً ويغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يتسم

وضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول القائل:

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً

وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه كقول لبيد بن ربيعة:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

٤٠- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٢-٣.

٤١- المصدر نفسه، ص ٧-١٠.

وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الأعشى في امرأة:

وفوها كأقحاحي غذاة دائم المهطل  
كما شيب براح با رد من عسل النحل

كما تناول ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر الصورة التي ينبغي أن يكون عليها النص الإبداعي، ومعيار الجودة فيه، وذلك من حيث اللغة والصورة والبناء وغير ذلك من القيم النقدية التي تجعل من النص الإبداعي نصًا إبداعيًا يقول: "فينبغي للشاعر في عصرنا أن لا يظهر شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نبه عليها، وأمر بالتحرز منها، ونهى عن استعمال نظائرها، ولا يضع في نفسه أن الشعر موضع اضطرار، وأنه يسلك سبيل من كان قبله، ويحتج بالأبيات التي عيبت على قائلها، فليس يقتدي بالمسيء، وإنما الاقتداء بالمحسن، وكل واثق فيه مجل له إلا القليل. ولا يغير على معاني الشعر فيودعها شعره، ويخرجها في أوزان مخالفة لأوزان الأشعار التي يتناول منها ما يتناول، ويتوهم أن تغييره للألفاظ والأوزان مما يستر سرقة..."(٤٢).

وعاين ابن طباطبا في موضع آخر من كتابه القيمة النقدية للشعر الحسن والجيد بقوله: "وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو وافٍ وما محه ونفاه فهو ناقص والعلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه، ونفيه للقبيح منه، واهتزازه لما يقبله وتكرهه لما ينفيه... والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق، والجائز المعروف المألوف، ويتشوف إليه ويتجلى له، ويستوحش من الكلام الجائر والخطأ الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر منه، ويصدأ له، فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظومًا مصفى من كدر العي، مقومًا من أود الخطأ واللحن، سالمًا من جور التأليف، موزونًا بميزان الصواب لفظًا ومعنى وتركيبًا اتسعت طريقه، ولطفت مواجعه، فقبله الفهم وارتاح له وأنس به"(٤٣).

وقد وضع قدامة بن جعفر موقفه من القيمة النقدية التي تتجسد في النص الشعري، محددًا الجنس الشعري أساسًا لهذه القيمة، حيث يقول: "إنه لما كان الشعر على ما قلناه لفظًا موزونًا مقفًى يدل على معنى، وكان هذا الحد مأخوذًا من جنس الشعر العام له وفصوله التي تحوزه عن غيره، كانت معاني هذا الجنس والفصول موجودة فيه، كما يوجد في كل محدود معاني حده، لأن الإنسان مثلًا يجد أنه حي ناطق ميت، فحي بمعنى الحياة التي هي جنس الإنسان الموجود فيه، وهو التحرك والحس، وكذلك معنى

٤٢- ابن طباطبا، عيار الشعر، ص ٩-١٠.

٤٣- المصدر نفسه، ص ١٤.

النطق الذي هو فصله مما ليس بناطق موجود فيه، وهو التخيل والتذكر والفكر، ومعنى الموت الذي في حد الإنسان وهو قبول بطلان الحركة، وكذلك أيضًا معنى اللفظ الذي هو جنس للشعر موجود فيه، وهو حروف خارجة بالصوت، متواطأً عليها، وكذلك معنى الوزن ومعنى التقفية، ومعنى ما يدل عليه اللفظ، فإن كان ذلك كما قلنا فالشعر إنما هو ما اجتمع من هذه الأسباب التي يحيط بها حده..."(٤٤).

كما وضع الأمدى (ت٣٧٢هـ) في كتابه الموازنة بين أبي تمام والبحرّي معيار الموازنة كقيمة نقدية تبرز الشاعر الجيد دون غيره، وكذلك الشاعر الملتزم بالمعايير التي رآها الأمدى مقياساً للجودة الشعرية يقول: هذا ما حثت ... على تقديمه من الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحرّي في شعريهما"(٤٥). وقال كذلك في موضع آخر موضحاً منهجه في تحديد القيمة النقدية للشعر: "فإن كنت ... ممن يفضل سهل الكلام وقريبه، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق، فالبحرّي أشعر عندك ضرورة. وإن كنت تميل إلى الصنعة، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوّى على غير ذلك، فأبو تمام عندك أشعر لا محالة. فأما أنا فليست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكنني أوازن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية، وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى، فأقول: أيهما أشعر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى، ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علمًا بالجيد والرديء"(٤٦).

إضافة إلى ذلك، فقد تابع القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ) موضوع القيمة النقدية للشعر، والأسس التي على أساسها يختار الشعر الجيد من رديئه، وذلك من خلال معيار الوساطة بين المتنبي وخصومه والتي تعتمد على قياس الأشباه بالنظائر توخيًا للعدالة والحق. فالمقايسة عند الجرجاني هي تمهيد للحكم وإظهار للقيمة النقدية في النص الإبداعي عند الشاعر(٤٧).

ولذا، فقد حدد الجرجاني معالم الحكم على الشعر من خلال إبراز القيمة النقدية، حيث يقول: "والشعر لا يجب إلى النفوس بالنظر والمحااجة، ولا يحلّ في الصدور بالجدال والمقايسة، وإنما يعطفها عليه

٤٤- مقدمة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٦٨-٦٩.

٤٥- أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى، الموازنة بين أبي تمام والبحرّي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٤م، ص ١٠.

٤٦- المصدر نفسه، ص ١١-١٢.

٤٧- انظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٣٢٢.

القبول والطلاوة، ويقربه منها الرونق والحلاوة، وقد يكون الشيء متقنًا محكمًا، ولا يكون حلواً مقبولاً، ويكون جيداً وثيقاً وإن لم يكن لطيفاً رشيقاً" (٤٨).

وقد عد الجرجاني عمود الشعر وأركانه معياراً يحكم من خلاله على القيمة النقدية للعمل الإبداعي حيث يقول: "وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب وشبه فقارب وبده فأغزر، ولمن كثرت سواثر أمثاله وشوارد أبياته ولم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض" (٤٩).

كما أشار الجرجاني إلى الأسس التي ينبغي أن تتوافر في الشعر الجيد، وذلك بتعريفه للشعر الحسن بقوله: "وإن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدراية مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان" (٥٠).

كما بين ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) بأن القيمة للنص الإبداعي تتجسد في قدرته على التأثير في المتلقي أيًا كان مستواه ومرجعياته، فقال: "وإنما الشعر ما أطرب وهز النفوس، وحرك الطباع، فهذا هو باب الشعر الذي وضع له، وبني عليه لا ما سواه" (٥١).

ولهذا فقد أشار ابن رشيق إلى قواعد الشعر التي تحقق القيمة النقدية، وتشكل جوهر الشعر وأساس بنائه يقول: "قواعد الشعر أربع: الرغبة، والرغبة، والطرب، والغضب" فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجه" (٥٢).

٤٨- الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ١٠٠.

٤٩- المصدر نفسه، ص ٣٣-٣٤.

٥٠- المصدر نفسه، ص ١٥.

٥١- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢م، ج ١، ص ١٢٨.

٥٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٠.



فالقائمة النقدية هي قيمة النص الإبداعي الذي رأى فيه النقاد وجوهاً كثيرة، من حيث دوره في إثارة المتلقي وإمتاعه، وكذلك البنية اللغوية والفنية التي تعطي النص هويته الإبداعية إلى جانب عناصر أخرى تبرز مدى القيمة النقدية للعمل الإبداعي، يقول جيروم ستولنيتز في كتابه النقد الفني: "لا بد لتقدير العمل الفني من معايير للقيمة، فإذا لم يكن الناقد يكتفي بوصف مشاعره فحسب، فلا بد له من فحص خصائص العمل ذاته غير أنه لا يستطيع أن يدافع عن تقديره إلا إذا استطاع أن يثبت كيف تؤدي هذه الخصائص إلى جعل العمل جيداً، وبأي الدرجات تؤدي إلى ذلك، وإذن فلا بد أن يكون لديه معيار يعرف به الجودة الفنية وقياسها، هذا المعيار قد يكون هو "مشابهة الواقع" أو "النبيل الأخلاقي" أو "القوة الانفعالية" وبدون هذه المعايير لا يستطيع أن يدعم حكمه، وبدونها أيضاً لا نستطيع نحن أن نفهم السبب في إصدار هذا الحكم. هذه المعايير تبين، بوجه عام إن كان العمل جيداً (في نوعه) فهي تقيس القيمة، لا في العمل المحدد فحسب بل أيضاً في أعمال أخرى مشابهة له" (٥٣).

وإزاء ما جاء عند النقاد العرب حول أثر الأدب في نفسية المتلقي بوصف ذلك قيمة نقدية للإبداع الفني، فقد عاين عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في كتابه أسرار البلاغة أثر الأدب في النفس، بوصف الأدب محرّكاً للمتلقى ومدّهشاً وممتعاً له. فبدون هذه القيمة يفقد الأدب جوهره وغايته، إذ أن الصور الفنية التي تتسم بالغموض الفني لا التعقيد هي ما تحرك النفس الإنسانية وتطربها، يقول الجرجاني: "وهكذا إذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشئيين كلما كان أشد، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان، ومكان الاستظراف والمثير للدفين من الارتياح، والمتألف للناظر من المسرة، والمؤلف لأطراف البهجة، أنك ترى بها الشئيين مثلين متباينين ومؤتلفين مختلفين، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض، وفي خلقة الإنسان وخلال الروض، وهكذا طرائف تتثال عليك إذا فصلت هذه الجملة، وتتبع هذه اللمحة، ولذلك تجد تشبيه البنفسج في قوله:

ولازوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

أغرب وأعجب وأحق بالولوع وأجد من تشبيه النرجس، بمداهن در حشوهن عقيق، لأنه إذ ذاك مشبه لنبات غرض يرف وأوراق رطبة ترى الماء منها يشف بلهب نار مستول عليه اليبس وباد فيه

الكلف ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدن له، كانت صباية النفوس به أكثر وكان بالشغف منها أجدر، فسواء في إثارة التعجب، وإخراجك إلى روعة المستغرب، وجودك الشيء في مكان ليس من أمكنته، ووجود شيء لم يوجد ولم يعرف من أصله في ذاته وصفته، ولو أنه شبه البنفسج ببعض النبات، أو صادف له شبهاً في شيء من المتلونات، لم تجد له هذه الغرابة، ولم ينل من الحسن هذا الحظ"<sup>(٥٤)</sup>.

وقد عد حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) التناسب قيمة نقدية أساسية يحكم من خلالها على العمل الإبداعي، فالتناسب "مبدأ أساسي في كل أنواع الفن وأشكاله، ولكن له في كل نوع أو شكل مظهرًا متميزًا ينبع من طبيعة الأداة التي يتشكل منها هذا النوع تناسب اللوحة يظهر في تناغم الألوان المتباينة، وتناسب اللحن ينطوي على تناغم بين أصوات، أما في الشعر فالتناسب بين كلمات، وكلمات الشعر ليست مجرد أصوات بل هي مجموعة من الدلالات ومن الصعب الفصل بين الكلمة وسياقها كما يصعب أيضًا فصل سياقها عن معنى من المعاني تتألف دلالاته أو لا تتألف مع غيره من المعاني"<sup>(٥٥)</sup>.

وفي ضوء فكرة التناسب في الصياغة والبناء للعمل الإبداعي، يقول حازم القرطاجني: "والتهدي إلى العبارات الحسنة يكون بأن تكون للشاعر قوة يستولي فكره بها على جميع الجهات التي يستكمل حسن الكلام بالترامي به إلى كل جهة منها والتباعد عن الجهات التي تضادها. وتلك الجهات هي اختيار المواد اللفظية أولاً من جهة ما تحسن في ملافظ حروفها وانتظامها وصيغها ومقاديرها واجتناب ما يقبح في ذلك"<sup>(٥٦)</sup>. ويقول أيضًا بهذا الخصوص في موضع آخر من كتابه منهاج البلغاء: "وقد تعدم هذه الصفات أو أكثرها من الكلم وتكون مع ذلك متلائمة التأليف لا يدري من أين وقع فيها التلاؤم ولا كيف وقع؟ ليس ذلك إلا لنسبة وتشاكل يعرض في التأليف لا يعبر عن حقيقته ولا يعلم ماكنهه، إنما ذلك مثل ما يقع بين بعض الألحان وبعض الأصباغ وبعض من النسبة والتشاكل ولا يدري من أين وقع ذلك؟"<sup>(٥٧)</sup>.

٥٤- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٠٩-١١٠.

٥٥- جابر عصفور، مفهوم الشعر، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٤٢٥.

٥٦- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٢٢.

٥٧- المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

تعد القيمة المعرفية قيمة واسعة المعنى، حيث توقف عندها معظم النقاد والدارسين العرب القدماء، وذلك بدءاً من تعريفهم للشعر بوصفه مصدرًا من مصادر الإبداع عند العرب، وكذلك عد النقاد الشعر ديوان العرب وسجل أحاسيمهم وأنسابهم ومستودع حياتهم بكل تفاصيلها اليومية. فقد كان الشعر السجل لمآثرهم وأمجادهم، وكذلك جسد من خلال صوره وتعبيراته أهم المظاهر الحضارية عند العرب القدماء بحيث أصبحت القبيلة تفاخر غيرها من القبائل عندما يولد شاعر من بين أبنائها. كما عكست التشبيهات والصور المختلفة للبيئة العربية كما هو الحال في كتب: التشبيهات لابن أبي عون، والتشبيهات من أشعار أهل الأندلس للكتاني الطبيب، وغرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات لعلي بن ظافر الأزدي، والجمان في تشبيهات القرآن لابن نايقا البغدادي، إضافة إلى ما أشار إليه ابن طباطبا من تفاصيل حول التشبيهات ومدى تصويرها للبيئة العربية.

وعاين النقاد العرب القدماء من خلال القيمة المعرفية للعمل الإبداعي الأبعاد الأخلاقية، والدينية، والفلسفية، فضلاً عن المعارف العلمية التي عبر عنها الشعر العربي. ولهذا فقد عبر الشعر عن معارف تخص العالم وخيرات الإنسان فيه.

ولهذا فقد عد ابن قتيبة الشعر مصدرًا من مصادر القيم الخلقية، ولهذا فقد أصدر أحكامه النقدية حول قيمة الشعر المعرفية من خلال المضمون الأخلاقي والتربوي والموعظي للشعر، حيث عبر عن تقديره للمضمون الأخلاقي للشعر، بينما رفض الأشعار ذات المضامين الغزلية التي لا تتناسب وشخصيته بوصفه قاضيًا. يقول (٥٨): "تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه مثل:

يغضي حياء ويغضي من مهابته      فما يكلم إلا حين يبتسم"

حيث علق عليه ابن قتيبة بقوله: لم يقل في الهيبة شيء أحسن منه كما عد الأبيات الغزلية لا فائدة

في معناها، لأنها لا تتناسب وشخص القاضي:

إن الذين غدوا بلبك غادروا      وشلاً بعينك ما يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي      ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وقد أسهب ابن طباطبا في معانيته للقيمة المعرفية للشعر بوصفه الفن الإبداعي الأساسي

والأكثر حضورًا عند العرب من غيره من فنون الإبداع، يقول: "وأعلم أن العرب أودعت أشعارها من

الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها ومررت به تجاربها وهم أهل وبر: وصحونهم البوادي وسقوفهم السماء فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها، وفي كل واحدة منها في فصول الزمان على اختلافها... فتضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسها، إلى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها، في رخائها وشدتها، ورضاها وغضبها، وفرحها وغمها، وأمنها وخوفها، وصحتها وسقمها، والحالات المتصرفه في خلقها وخلقها، من حال الطفولة إلى حال الهرم، وفي حال الحياة إلى حال الموت" (٥٩).

كما عد القاضي الجرجاني الشعر قيمة معرفية يتجسد من خلالها معارف العرب المتمثلة بالشعر الذي يشكل مستودعًا لأخبارهم وصدى لكل مظاهر حياتهم وعاداتهم وأيامهم، يقول: "إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز" (٦٠).

وقد تابع ابن رشيقي القيرواني الرؤية نفسها للقيمة المعرفية للإبداع الشعري التي رآها النقاد العرب القدماء، بأن الشعر هو أكبر علوم العرب، لأنه يشكل مادة الإبداع، وكذلك مستودع الأخبار وصدى لمظاهر حياتهم وحضارتهم، كما يشكل مبعث الحكمة والأمل والرجاء. يقول: "فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته وتمتثل إرادته، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر لحكماً" وروى "الحكمة" وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته، فيستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم". مع ما للشعر من عظيم المزية، وشرف الأبيية، وعز الأنفة، وسلطان القدرة، ووجدت الناس مختلفين فيه، متخلفين عن كثير منه: يقدمون ويؤخرون ويقلون ويكثرون، قد بوبوه أبواباً متهمه وكل واحد منهم قد ضرب فيه جهة، وانتحل مذهباً هو فيه إمام نفسه" (٦١).

ولقد حدد حازم القرطاجني القيمة المعرفية للشعر من خلال المهمة الأخلاقية بمعناها الواسع، فالمقصود بالشعر عند حازم "إنهاض إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما ينجل لها فيه من حسن وقبح وجمالة وخسة وجب أن تكون موضوعات صناعة الشعر الأشياء

٥٩- ابن طباطبا، عيار الشعر، ص ١٠-١١.

٦٠- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبئ وخصومه، ص ١٥.

٦١- ابن رشيقي القيرواني، العمدة، ج ١، ص ١٦٠.

التي لها انتساب على ما يفعله الإنسان ويطلبه ويعتقده" (٦٢).

كما بين حازم مهمة الشعر وقيمتها المعرفية بمدى ارتباطه بحاجات الإنسان ومنافعه يقول: "فأما طريق معرفة القسمة الصحيحة التي للشعر من جهة أغراضه فهو أن الأفاويل الشعرية لما كان القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع الضار ببسطها النفوس إلى ما يراد من ذلك وقبضها عما يراد بها يخيل لها فيه من خير أو شر" (٦٣).

وتابع حازم تناول القيمة المعرفية المتجسدة في الشعر من خلال غرضي المدح والذم اللذين يشكلان جوهر مهمة الشعر وغايته، حيث تماهت نظرة حازم مع نظرة الفلاسفة بخصوص سعي الإنسان لتحقيق مصالحه، ولذا فقد عاينت هذه النظرة للمعرفة الشعرية النزعة الفلسفية للعمل الإبداعي، تلك النزعة التي تشكل قيمة معرفية إلى جانب القيم الأخرى للعمل الإبداعي. يقول حازم القرطاجني: "لما كان الإنسان في جميع ما يحاوله ويسعى نحوه إنما يلتمس حظوظاً يكون فيها صلاح لنفسه أو حظوظاً فيها صلاح لبدنه، وكان استقصاء الإنسان مصالح نفسه وابتغاؤه لها من كل وجه لا يصل منه إلى غيره مضرة ولا ظلم، وكان استقصاؤه حظوظ بدنه وطلبه لها من كل وجه يؤدي إلى ضرر غيره وظلمه، والظلم قبيح فما أدى إليه قبيح وجب لذلك أن يكون الفضل في القناعة من حظوظ البدن بما لا يؤدي إلى مزاحمة ذي استحقاق وفي الرغبة في جميع حظوظ النفس.

وحظوظ النفس هي التي يكون لها خيرات وكمالات بالنظر إلى نعيمها الباقي، وحظوظ البدن هي التي تكون لها خيرات وكمالات بالنظر إلى نعيمها الفاني، فالفاضل من أثر نعيم نفسه الباقي على نعيم بدنه الفاني، ومن أنصف غيره من ذوي الاستحقاق فيما فيه نعيم بدنه الفاني أو أثره بذلك على نفسه والإيثار أفضل ليعتاض بذلك ما يكون له سبباً إلى النعيم الباقي كالأجر أو ما ينتزل في توهمه منزلة النعيم الباقي كالذكر الجميل.

ولما كان للإنسان كمالات في بدنه تحصل عن اعتياد ما يصدر عنها أفعال، وكمالات في نفسه تصدر عنها أو تنحو نحوها أفعال وانفعالات، وكمالات في عقله تصدر عنها تمييزات وإدراكات، وكان الإنسان فيما يصدر عن تلك الكمالات وينحو نحوها لا يخلو من أن يروم حظاً يؤثر به نفسه على بدنه أو بدنه على نفسه أو غيره على نفسه أو غيره، وكان المحمود من ذلك يثار نفسه على بدنه وإيثار

٦٢- القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ١٠٦.

٦٣- المصدر نفسه، ص ٣٣٧، انظر: جابر عصفور، مفهوم الشعر، ص ٢٥٣.

غيره على نفسه والطرفان الآخران مذمومان، وكانت الأفعال المحمودة والمذمومة من جميع ذلك تختلف رتبها في مقدار ما يجب عليها من الحمد والذم بحسب اختلاف الأحوال المطيفة بها" (٦٤).

ولعل هذا الموقف من الشعر وقيّمته المعرفية عند القرطاجني لا يختلف عما جاء عند أرسطو والفلاسفة المسلمين حول الشعر وضرورته للنفس الإنسانية، حيث أن الطبيعة الإنسانية تعود إلى نزعتين هما النزعة إلى المحاكاة، وكذلك النزعة إلى الانسجام والإيقاع، فيقول: "ويبدو أن الشعر عن سببين كلاهما طبيعي فالمحاكاة غريزة في الإنسان تظهر فيه منذ الطفولة "والإنسان يختلف عن سائر الحيوان في كونه أكثرها استعدادًا للمحاكاة، وبالمحاكاة يكتسب معارفه الأولية"، كما أن الناس يجدون لذة في المحاكاة ... وسبب آخر هو أن التعليم لذيد لا للفلاسفة وحدهم، بل وأيضًا لسائر الناس، وإن لم يشارك هؤلاء فيه إلا بقدر يسير. فنحن نسر برؤية الصور لأننا نفيد من مشاهدتها علمًا ونستنبط ما تدل عليه، كأن نقول إن هذه الصورة صورة فلان. فإن لم تكن رأينا موضوعها من قبل فإنها تسرنا لا بوضعها محاكاة، ولكن لإتقان صناعتها أو لألوانها أو ما شاكل ذلك.

فلما كانت غريزة المحاكاة طبيعية فينا، شأنها شأن اللحن والإيقاع "إذ من الواضح أن الأوزان ما هي إلا أجزاء من الإيقاعات"، كان أكبر الناس حظًا من هذه الموات، في البدء، هم الذين تقدموا شيئًا فشيئًا وارتجلوا، ومن ارتجلهم ولد الشعر. ولقد انقسم الشعر وفقًا لطباع الشعراء: فدوو النفوس النبيلة حاكوا الفعال النبيلة، وأعمال الفضلاء وذوو النفوس الخسيسة حاكوا فعال الأدنياء فأنشأوا الأهاجي، بينما أنشأ الآخرون الأناشيد والمدائح" (٦٥).

#### ٤- قيمة القيمة:

إن أي عمل نحكم عليه اليوم بالإيجاب قد يحكم عليه آخرون مستقبلًا بالسلب، ويعود ذلك إلى الظرف التاريخي وما يعنيه من تقلبات في الذوق والمعرفة وعوامل التطور التي تصيب المجتمع، فالعلاقة بين القيم تتغير إذن من زمن إلى آخر ومن شخص إلى آخر أيضًا. فقد تصبح قيم الجود والكرم في زمن حاتم الطائي قيم إسراف وتهور في زمن آخر، وهكذا قد نجد قيم السباحة والإيثار والنبل قد أخذت حكمًا آخر في زمن مغاير لذلك الزمن التي عدت فيه قيم السمو والرفعة قيمًا إيجابية لتصيح بمدولات سلبية في زمن آخر، وعند مجتمعات أخرى.

٦٤- القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ١٦٢-١٦٣.

٦٥- أرسطو طاليس، فن الشعر، ص ١٢-١٣.

فإصدار الحكم القيمي يختلف من شخص لآخر، لأن التمييز بين الجيد والرديء يخضع لتقدير الأشخاص، لأن الرؤية لتقدير الأشياء تتعرض للتحويل والتغيير من زمن إلى آخر وفقاً للسياقات التاريخية والحضارية وما يعترها من ظروف اقتصادية ومعرفية واجتماعية.

فالقيمة الجمالية أو المعرفية أو النقدية تتوقف على القارئ أو المتلقي وفقاً لعمق ثقافته ورقى ذوقه وإحساسه بالجمال، وتقديره للمعرفة وللعمل الإبداعي. فالأمر لا يتوقف في تقدير قيمة القيمة على الناقد أو المتلقي وفقاً لذوقه ومرجعياته المعرفية، وعمق ثقافته بل على النص الإبداعي ومستوى بنائه الفني واللغوي وقدرته على طرح قضية ما أرادها المبدع. فمتى كان النص غنياً وعميقاً في بنيته الفنية واللغوية فسوف يجد ناقدًا قادرًا على الكشف عن تفاصيله وعمق التجربة الإبداعية التي يمثلها، يقول شكري عياد في كتابه دائرة الإبداع بهذا الخصوص: "بما أن القيمة هي عماد الذوق بمعناه الموضوعي الذي نلح عليه فطبيعي أن يكون الحكم الذوقي شديد الصعوبة، كثير التعرض للخطأ. يقول نورثروب فراي في مقدمة كتابه **تشریح النقد**... "إن الناقد المشغول بالقيمة يوجه عنايته الحقيقية إلى القيمة الإيجابية، أي إلى جودة القصيدة أو ربا أصلتها... ومثل هذا النقد يعطينا حكمًا بالقيمة صادرًا عن ذوق رفيع مهذب، يعطينا اختبارًا للفن بتأثيره المحسوس، يعطينا استجابة مدربة من جهاز عصبي دقيق التنظيم لوقع الشعر. ولا يستطيع ناقد متزن أن يقلل من أهمية هذا، غير أن هناك بعض التحفظات:

**أولاً:** من الخرافة الظن بأن اليقين الذوقي السريع لا يمكن أن يخطئ. فالذوق الرفيع ينتج من دراسة الأدب، ودقته تنتج عن المعرفة، ولكنها لا تنتج معرفة. وبناء على ذلك لا تكون دقة ذوق أي ناقد ضمانًا لكفاية أساسها الاستقرائي في الخبرة الأدبية، ويظل هذا صحيحًا حتى بعد أن يتعلم الناقد تأسيس أحكامه على خبرته بالأدب لا على همومه الاجتماعية أو الأخلاقية أو الدينية أو الشخصية. فالنقاد الأمناء لا يزالون يجدون بقعًا مظلمة في ذوقهم، ويكتشفون أنه من الممكن أن يسلموا بشكل صحيح من أشكال التجربة الشعرية دون أن يدركوه بأنفسهم.

**ثانيًا:** أن الحكم الإيجابي بالقيمة ينبنى على تجربة مباشرة لا بد منها للنقد، ولكنها تستبعد منه دائمًا. فالنقد لا يمكنه أن يحدث عنها إلا بمصطلح النقد، وهذا المصطلح لا يمكنه أن يسير مع التجربة الأصلية أو يستوعبها. إن التجربة الأصلية تشبه الإبصار المباشر للون، أو الإحساس المباشر بالحرارة أو البرودة، اللذين يشرحهما علم الفيزياء بطريقة تعد، إذا نظرنا إليها من جهة الخبرة نفسها خارجة عن الموضوع، وإن الانفعال بالأدب مها يثقفه الذوق والمهارة فهو عاجز

عن الكلام مثل الأدب نفسه" (٦٦).

وفي ضوء ذلك، فقد تناول ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر مشكلة القيمة وقيمة القيمة، حيث تعتمد هذه المشكلة على الفهم الثاقب أو الناقد الذي يميز بين الجيد والرديء أو الحسن والقبيح، وخلاصة ذلك فإن العقل هو القادر على التمييز بين الأشياء المتضادة، كما ربط الحواس الإنسانية المختلفة بالقبول أو الرفض لأي من القيم (٦٧). يقول ابن طباطبا: "وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو وافٍ وما محه ونفاه فهو ناقص. والعلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه، ونفيه للقبيح منه واهتزازه لما يقبله وتكرهه لما ينفيه، وإن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبع له إذا كان وروده عليها وروداً لطيفاً باعتدال لا جور فيه، وبموافقة لا مضادة معها، فالعين تألف المرأى الحسن وتغذى بالمرأى القبيح الكريه، والأنف يقبل المشم الطيب وتتأذى بالمتن الخبيث، والفهم يلتذ بالمذاق الحلو ويمج البشع المر، والأذن تتشوف للصوت الخفيض الساكن، وتتأذى بالجهر الهائل، واليد تنعم باللمس اللين الناعم وتتأذى بالخشن المؤذي، والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق، والجائز المعروف المألوف ويتشوف إليه ويتجلى له، ويستوحش من الكلام الجائر والخطأ الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر منه، ويصدأ له، فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوماً مصفى من كدر العي، مقوماً من أود الخطأ واللحن سالماً من جور التأليف، موزوناً بميزان الصواب لفظاً ومعنى وتركيباً اتسعت طريقه، ولطفت مواجعه، فقبله الفهم وارتاح له، وأنس به" (٦٨).

## Value, Categories and Representation among Ancient Arab Critics

This paper traces the meaning, conception and representation of value in the Arab critics of olden times, Defining value and its multi-faceted manifestations in life and literature, the writer traces its presence in the Arabs' critical heritage. He categorizes value into the following kinds: i) aesthetic; ii) critical; iii) epistemological; iv) value of the value and then shows their occurrence in the works of ancient Arabic literary criticism.

\*\*\*\*

- 
- ٦٦- شكري عياد، دائرة الإبداع، ص ٤٢-٤٣ وانظر: كتاب نورثروب فراي، تشريح النقد:  
Frye Northrop, anatomy of criticism Princeton university press, 1957
- ٦٧- انظر: مجدي أحمد توفيق، مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم، ص ٢٤٢-٢٤٣.
- ٦٨- ابن طباطبا، عيار الشعر، ص ١٤.